

العمل السياسي والعمل الإنساني: احدثوا الخلط بين الإثنين



فريدريك فينبو

تحت غطاء المبادئ الإنسانية، يسعى بعض الأفراد وبعض المنظمات المجتمع المدني إلى حشد الدعم لصالح تدخل عسكري في دارفور، يفرضه منطلق القوة وإن رفضته الحكومة السودانية، وهنا لا بد لأطباء بلا حدود من التذكير بالفرق بين العمل الإنساني والأجندات السياسية، فحين يستعمل الأول كأداة لخدمة مصالح الأخرى، فالضرر يقع على المساعدة التي نوفرها والخطر يهدد أمن متطوعيها.

فريدريك فينبو
المدير التنفيذي
أطباء بلا حدود – الإمارات العربية المتحدة



أوليفييه جوبار / سيبيا برون

الإعتداءات المسلحة دفعت بمششرات الآلاف إلى الفرار

في الوقت الذي تجري فيه مشاورات سياسية مكثفة حول دارفور بخصوص المرعات الإنسانية وغيرها من المواضيع التي تكاد لا ترتبط بالواقع الميداني، يعيش ١٥٠,٠٠٠ نازح في ظل أزمة إنسانية متصاعدة في تشاد. وفيما أكد مسح أجرته منظمة أطباء بلا حدود خطورة الوضع في هذا البلد فإن الإغاثة المقدّمة لازالت غير كافية بتاتا ولازالت المنظمة تواجه عوائق شتى في سبيل تعزيز أنشطتها.

وقد أجبرت الهجمات المسلّحة المتكررة على قرى شرق البلاد عشرات الآلاف من الأشخاص إلى النزوح خلال السنة ونصف الماضية، ويعيش هؤلاء اليوم في مخيمات تكاد لا تتوفر فيها أدنى الشروط الأمنية، داخل أكواخ من القش ودون غذاء ولا ماء ولا رعاية صحية.

وتعرف منطقة شرق تشاد نزاعات بين القوات الحكومية والمجموعات المتمردة منذ أواخر سنة ٢٠٠٥. وبالإضافة إلى ذلك، تشنّ كل من السودان والتشاد حربا بعضها على بعض بإرسال مليشيات مسلحة عبر الحدود. وقد تعرضت القرى للاعتداءات المسلحة وقتل المدنيين ونهب الممتلكات وسلبت المواشي. وقد تصاعدت أعمال العنف بوتيرة مستمرة منذ منتصف سنة ٢٠٠٦ ودفعت بالمزيد إلى الفرار وهجر الديار، حيث أن ارتفع عدد النازحين من ٤٠,٠٠٠ خلال يونيو ٢٠٠٦ إلى ١٥٠,٠٠٠ حاليا. لذويها وأصدقائها ■

انعدام الأمن لا يبرر الجمود وعدم التدخل

من المؤكد أنّ الأحوال المضطربة التي تعم المنطقة تحد من مقدرة العديد من المنظمات على الاستجابة السريعة لاحتياجات النازحين الإنسانية، خصوصا فيما يخص سد النقص في التغذية والماء والخيم. فعدد من المنظمات أعلنت أن عدم استقرار الوضع هو الذي يحول دون تدخلها في تشاد. ويقول أحد المسؤولين عن عمليات أطباء بلا حدود في المنطقة "إن الوضع الأمني في شرق تشاد بالفعل غير مستقر، ولكن الاحتياجات الإنسانية الضخمة تحتم علينا الاستمرار في عملنا في المنطقة".

وتركز جل المساعدات في شرق تشاد بوجه الخصوص على اللاجئين القادمين من دارفور، دون الاكتراث بوضع النازحين التشاديين. وقد شرعت مؤخرا بعض المنظمات في إعارة بعض الاهتمام ولكن الوضع يتطلب المزيد من الجهود الإغاثية ولا بد للمجتمع الدولي أن يتحمل مسؤوليته بإرسال المزيد من المساعدات المعالجة لشرق تشاد، خاصة أن استعمال الطرق سيصبح مستحيلا في غضون شهرين بسبب موسم الأمطار الذي بات على الأبواب والذي سيجعل الوصول إلى النازحين أكثر صعوبة.

موارد محدودة في مناطق الاستقرار

يستقر النازحون بطريقة عشوائية حول القرى التي يلجؤون إليها، حيث يبنون ما يشبه أكواخا من القش وأغصان الأشجار في المزارع المحلية، مما يؤدي حتما إلى نشوب خلافات وصراعات مع السكان المحليين خلال موسم الزرع. ولا تحمي هذه المباني الهشة من قساوة أحوال الجو حيث تبلغ درجة الحرارة ٤٦ مئوية (١١٥ درجة فهرنهايت) في الظل وتخفّض بسرعة ليلا. كما أنّها لا تحمي من العواصف الرملية والرياح التي تجتاح المنطقة، وأشار برنامج الغذاء العالمي في شهر فبراير الماضي أن ما يقارب ٦٪ من العائلات قد تلقت غلظا بلاستيكي لتغطية خيمها، بينما تنتظر البقية عمليات توزيع لاحقة، ولكنها لن تغطي كل الاحتياجات.

كما ضاقت البلدات الصغيرة التي تستقبل النازحين بساكنتها ولم تعد قادرة على استيعاب هذا الحجم من الوافدين. وعلى سبيل المثال فقد استقر أكثر من ٥٠,٠٠٠ نازح ب "كوز بيضا"، وهي بلدة يقطنها ١٠,٠٠٠ نسمة. ولعل الهوة أوسع في "دغدوري" التي



أوليفييه جوبار / سيبيا برون

يفتقر النازحون إلى الغذاء والماء والمأوى

يستقر بها اليوم بالإضافة إلى ساكنتها الأصلية المكونة من ٢٠٠٠ نسمة ما لا يقل عن ٢٠,٠٠٠ نازح. فقد ضاقت المساحات الصالحة للزراعة ونذرت المياه وجفت الآبار التقليدية، ولم تعد توفر إلا مياه ملوثة غير صالحة للشرب. كما جفت أغلب الأنهار والوئدان بدورها والمياه المتبقية من موسم الجفاف ليست ذات جودة عالية. ونظام التزويد بالمياه الذي تديره المنظمات ليس ملائما للأوضاع الراهنة.

تدهور الأحوال الغذائية

لقد سجلت منظمة أطباء بلا حدود منذ فترة ارتفاع عدد الأطفال المصابين بسوء التغذية، حيث غالبا ما يغادر النازحون بيوتهم فجأة ولا يتسنى لهم التزود بالطعام، وكافحون يوميا لإطعام عائلاتهم.

وقد قاد مركز البحوث الوبائية التابع لأطباء بلا حدود في نهاية شهر مايو دراسة حول الوضع في المعسكرات حول "كوز البيضا". وكشفت الدراسة أن واحدا من بين كل خمسة أطفال يعاني من سوء التغذية الحاد وأن نسبة الوفيات ارتفعت بشكل مهول خلال الفترة المتراوحة بين ٢٠ مارس و ٢٠ مايو الأخير.

ورغم هذا الوضع ظلت المساعدات المقدّمة من طرف العديد من المنظمات في الآونة الأخيرة تركز على اللاجئين القادمين من دارفور دون إعارة أي اهتمام للنازحين التشاديين.

صعوبة الوصول إلى الخدمات الصحية

ويبقى الإسهال والأمراض التنفسية والملاريا من بين أكثر الأمراض انتشارا التي تمّ تسجيلها من طرف فريق المنظمة الطبي في "دغدوري". وقد سجل الفريق "زيادة في حالات سوء التغذية بين الأطفال الذين يعتبرون الفئة الأكثر عرضة داخل المخيمات. نعلم بأن الناس هنا فقدوا آليات التكيف وأن أحوالهم قد تتدهور بسرعة بعد قضاء عدة أشهر في مثل هذه الظروف". ويضيف خبراء المنظمة بأن "ارتفاع حالات الإصابة بالإسهال يدل أن هنالك نقص في الماء المتوفر، وفي الماء الصالح للشرب على وجه الخصوص".

ولسد النقص الذي تعاني منه الأغاثة المقدّمة، قامت أطباء بلا حدود بالرفع من حجم تدخلها. وتعالج فرقتها حوالي ١,٦٠٠ مريض في المراكز الصحية والعيادات المتقلّبة في ١٥ منطقة في "دار سيلا" و "سلامات". وتزود المنظمة ٢٢,٠٠٠ شخصا بحوالي ٢٠٠,٠٠٠ لترا من الماء يوميا. وقد قدّمت المنظمة مواد الإغاثة الأساسية بما فيها الخيم والأغطية البلاستيكية وأدوات المطبخ وأدوات النظافة لحوالي ٥٠,٠٠٠ نازح.

ضرورة وصول المساعدات قبل فصل الأمطار

بصفة عامة، ورغم تواجد العديد من المنظمات، فالمساعدة المقدّمة في شرق تشاد



أوليفييه جوبار / سيبيا برون

عدد النازحين الفارين من فرامهم في تزايد مستمر

لا زالت لا تكفي للاستجابة للاحتياجات الضخمة. وتسعى المنظمة إلى تعزيز مساعدتها للنازحين في أربعة مجالات: التزويد بالغذاء والعناية الطبية وتوفير الماء الصالح للشرب وتهيء الخيم قبل فصل الأمطار. وبالنظر يتوقّع أن يشهد فصل الأمطار في آخر الشهر المقبل زيادة في حالات الملاريا والإسهال، مع ارتفاع في حالات سوء التغذية. ونظرا لتدهور الأوضاع المتوقع، أصبح من الضروري الرفع من الطاقة الاستيعابية للمستشفيات وتحسين مستوى التزويد بالمياه والاستجابة لمشكلة سوء التغذية لتفادي كارثة إنسانية.

وتعمل منظمة أطباء بلا حدود في كل من "دغدوري" و "كوز بيضا" و "آدي" و "كوكو" و "كري". والمنظمة حاليا بصدد توسيع نطاق تدخلها، غير أنها تواجه صعوبات جمة في بعض المناطق. ورغم طلباتها المتكررة، لا زالت المنظمة تواجه الرفض إزاء مساعها لفتح عيادة لمعالجة الأطفال في "كوز بيضا". تتوجه أساسا لاستقبال حالات سوء التغذية الحاد.

وتقول إيزابيل دوفرنيي، منسّقة برنامج المنظمة في تشاد، إنه "أصبح من الضروري الاعتراف بحالة الطوارئ التي يشهدها شرق تشاد لضمان وصول المساعدات بطريقة عاجلة وكافية ولتقوم السلطات بتسهيل مرور المساعدات الإنسانية".

مركز الأوبئة التابع لأطباء بلا حدود يحتفل بمرور ٢٠ سنة على إنشائه

يحتفل مركز الأوبئة التابع لأطباء بلا حدود بمرور ٢٠ سنة على إنشائه. فمُنذ ٢٠ سنة خلت، قام الدكتور مورين والدكتور شارهون بتنفيذ فكرتهما العظيمة بتزويد منظمة أطباء بلا حدود بمركز للبحوث في مجال الأوبئة. ويهدف المركز إلى تزويد فرق أطباء بلا حدود بعمليات وبائية موثوقة لتمكينهم من العمل وفقها. كما يقوم بتقييم النتائج الطبية لتدخلات المنظمة ويشط في مجالات التشخيص والبحث عن الحلول الطبية لعلاج الأمراض التي أمهلها البحث العلمي وتدريب الفاعلين الميدانيين من أجل تحسين أداء وجودة البرامج التي تنفذها أطباء بلا حدود. وقد أصبح المركز بذلك أداة لا يمكن الاستغناء عنها في مجال عملنا.

وفوق كل هذا وذاك فقد نجح المركز في جعل طب الطوارئ وعلاج المصابين من ضحايا الأوبئة والأمراض المنتشرة على نطاق واسع، جعلهما يقفزان إلى الواجهة. فعلى مر العشرين سنة الماضية، تمكن المركز من اكتساب سمعة وإشعاع دوليين.

وقد أنشئ مركز الأوبئة كجمعية تابعة لمنظمة أطباء بلا حدود عام ١٩٨٧ للإسهام في تحسين مستوى التدخلات الميدانية للمنظمة. وبحلول عام ١٩٩٦، أصبح واحدا من المراكز المتعاونة مع منظمة الصحة العالمية في مجال البحث الوبائي والاستجابة للأمراض الطارئة.

ويقدم مركز البحوث الوبائية الدعم العلمي لأنشطة أطباء بلا حدود الميدانية من خلال إدارة البحوث وإنجاز الدراسات الوبائية. علاوة على برمجة وتنظيم دورات تدريبية في مواضيع تهم الصحة العامة والأوبئة.

ويتكون فريق المركز الذي يتخذ من باريس مقرا له، من هيئة تسيير تضم قرابة ٢٠ باحثا وطبيبا ومعرض وخبير أحياء وصيدليا (من حملة شهادات الماجستير أو الدكتوراه)، وخبراء إحصاء ونظم معلوماتية (كمبيوتر) وغيرهم. كما يشغل المركز عددا من المنسبين من فرعي أطباء بلا حدود في كل من بلجيكا و سويسرا، بالإضافة لوحدة البحوث الدائمة في امبرارا بيوغندا. أما العدد الإجمالي للعاملين بهذا المركز فيبلغ ١٥٠ شخصا ■

يعيش عشرات الآلاف من سكان تشاد في براتين أزمة إنسانية

يتجاهلها العالم، أعينونا على إيصال المساعدات لهم قبل فوات الأوان.